المحاضرة 07: التقديم والتأخير.

معلوم أنّ البلاغة العربية علم يبحث في جمالية وشعرية الكلام الأدبي، وأدبية الكلام مما تتحقّق به ظاهرة "التقديم والتأخير".

و نقصد بالتقديم والتأخير تحريك عنصر أو أكثر من عناصر الجملة العربية من موقعه المقرّر له إلى موقع متقدّم أو متأخر لغرض بلاغي.

وتعلمون أنّ عملية الكلام تعتمد على مبدأ الإختيار ومبدأ التأليف، فالمتكلم لديه مخزون لغوي يلجأ إليه ليختار الكلمة المناسبة للتعبير عن مضمونه الإخباري، ليؤلف بينها وبين بقية الكلمات التي اختارها للتعبير عن قصده في تركيب نحوي، أنشأه نُسميه **بالجملة** فالكلمات لا تؤدي الغرض العام وهي منفردة، بل تحمِل الكلماتُ الأفكارَ، حين التأليف بينها وبين الكلمات الأخرى في علاقات نحوية أهمها علاقة **الإسناد**. وبدون هذه العلاقات النحوية تفقد الكلمات معانيها الاستعمالية المنوطة بها تأديتها.

فنُسند الفعل إلى الاسم في الجمل الفعلية، ونُسند الاسم إلى الاسم في الجملة الاسمية.

يقول عبد القاهر الجرجاني أحد البلاغيين البارزين في التراث العربي: "الكلمات لم توجد لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضمّ بعضها إلى بعض".[1] أي التأليف والترتيب ونسج علاقات بين الكلمات ، بحسب مقاصدنا منها .

- الجملة الفعلية: تتكون من "مُسند (الفعل) + مسند إليه(الفاعل ، نائب الفاعل)

مثال: سقط الجدار نحن نُسند فعل السقوط إلى الجدار

ف"سَقَطَ" مسند، و"الجدار" مُسند إليه.

- الجملة الاسمية : تتكون من : مسند إليه(المبتدأ) + المسند (الخبر)

مثال الدرس واضح ... أسندنا الوضوح إلى الدرس؛ فالدرس مُسندٌ إليه الوضوح .

فللجملة العربية ركنان أساسيّان تقوم بهما:

1-المسند إليه: أي المخبر عنه أو المتحدث عنه وهو المبتدأ أو ما يقوم مقامه في الجملة الاسمية(ينظر الصورة)، أو الفاعل وما يقوم مقامه في الجملة الفعلية.

2-المسند: هو المُخبر به أو الأمر المعطى إلى المسند إليه وهو الخبر أو ما قام مقامه في الجملة الاسمية، أو الفعل وما قام مقامه في الجملة الفعلية .

وغير هذين الركنين يسمى **قيدا**، نحو متعلقات الفعل من مفعول به وحال وشبه الجملة....

وتسمى العلاقة التي تربط المسند بالمسند إليه، أوالعكس تسمى **الإسناد** فهو علاقة معنوية تربط المسند بالمُسند إليه.

أما مواقع المسنَد إليه في الجملة فتكون في :

١ ـ الفاعل	نحو :	انتصر العربُ، وصل الحسَنُ خلقُه
٢ ـ نائب الفاعل	نحو :	هُزِمَ الخصمُ.
٣ ـ المبتدأ الذي له خبر	نحو :	السماءُ صافيةٌ.
٤ ـ مرفوع المبتدأ المشتق	نحو :	أ ـ أقائم أنت؟
		ب ـ ما مجحودٌ فضلُك.
٥ ـ ما كان أصله مبتدأ	نحو :	أ ـ كان الجوُّ معتدلاً.
		ب ـ إن الحرارةَ منخفضةٌ.
٦ ـ المفعول الأول للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر	نحو :	ظننت الأمرَ سهلاً.
٧ ـ المفعول الثاني للأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل	نحو :	أنبأت المقصّرَ العاقبةَ وخيمةً.

أما مواطن المسنَد في الجملة فهي :

١ ـ الفعل التام	نحو :	قدم الحبيب.
٢ ـ اسم الفعل	نحو :	شتّان ما بين الفريقين.
٣ ـ خبر المبتدأ	نحو :	الحياة كفاحٌ.
٤ ـ المبتدأ الذي ليس له خبر	نحو :	أقائم أنت بواجبك؟
٥ ـ ما كان أصله خبراً	نحو :	أ ـ كان المتنبي فارساً.
		ب ـ إن سيف الدولة بطلٌ.
٦ ـ المفعول الثاني للأفعال التي تنصب مفعولين		

وفي نظام اللغة العربية لكل عنصر وظيفة ورتبة يؤديها في مكانه، إذا خرجنا عنه اختلّ التركيب والمعنى ، نحو قول الشاعر " **قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي** "

للتركيب معنى وضعه الشاعر بإحكام تم فيه توزيع الكلمات في علاقات نحوية معينة تناسب قصده. فإذا أعدنا ترتيب العناصر اختلّ المعنى ، والسبب هو أنّ نظم الكلمات تم بعلاقات نحوية معينة نظم الشاعر من خلالها شعره. بدءا باختيار الكلمات وانتهاء بالتأليف بينها وترتيبها وفق ما يقتضيه قصده.

وكلما اخلف ترتيب الكلمات اختلف المعنى . فترتيب الكلمات داخل الجملة يحمل قيمة بلاغية ودلالية مهمة، وكيفما يرتبها المتكلم في كلامه، وجمله نستطيع تحميل تركيبه قيما بلاغية ودلالية مهمة.

من هنا تأتي أهمية التقديم والتأخير، فترتيب الكلمات داخل الجملة، له غاية ومقصد وحينما نقدم أو نؤخر بحسب ما تسمح به اللغة واعتباراتها النحوية،فلِقَصد معيّن .

والتقديم والتأخير، "هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارضِ اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة".[2]

ملاحظة:

لكل لغة نظام وقانون وضابط لا يمكن تجاوزه، فلا بدّ أن نعرف أنّ حرية التقديم والتأخير لا يجب أن تخرج عن قواعد اللغة، ولذلك يرى البلاغيون والنحويون أنّ هناك مناطق نحوية يجوز فيها تحريك الكلمات عن مواضعها. وهناك مواضع لا يجوز فيها التقديم والتأخير. مثل رتبة الفعل والفاعل عند البصريين الفعل يتقدّم والفاعل يتأخر، الموصوف والصفة، المؤكّد والمؤكِّد، أداة الاستثناء والمستثنى، تتقدّم الأداة ضرورة، واو المعية والمفعول معه ، المعطوف والمعطوف عليه يتاخر المعطوف وجوبا، فهذه الرتب محفوظة لا تتحرك فيها الكلمات عن موضعها وإلا حدث تعقيد لفظي وخطا في الكلام.

أما الرتب غير المحفوظة فهي التي تتحرك فيها الكلمة عن موضعها ولا يحدث لَبسٌ ولا يتغير المعنى مع اختلاف قيمتها البلاغية، وهي التي يحق لنا تحريكها : نحو المبتدأ والخبر ، مع بقاء الخبر خبرا والمبتدّأ مبتدأ ، رتبة المفعول به والفاعل، الحال وصاحب الحال.

والتقديم والتأخير يمنح اللغة طاقات تعبيرية كبيرة بحيث يمكن التعبير عن الجملة بعدة تحويلات تركيبية بينها فروق دقيقة.

ويعرف عبد القاهر الجرجاني التقديم والتأخير بقوله "هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جمُّ المحاسنِ، واسعُ التصرف، بعيد الغاية ، لا يفترُّ لك عن بديعَةٍ، ويُفضي بك إلى لَطيفةٍ، ولا تزال ترى شعرا يروقُك مَسمَعُه، ويَلطُفُ لديك موقعُه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أن راقك، ولَطُفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان "[3]

وقد قسّمه إلى قسمين:

1-تقديم على نية التأخير: و ذلك "كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و في جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، و المفعول إذا قدمته على الفاعل" أي أنه تقديم لا تتغير فيه وظيفة الكلمة الإعرابية ونوع الجملة ، نحو:

منطلقٌ زيدٌ (و)، ضرب عمرًا زيدٌ. حيث قدمنا "مُنطلقٌ"، و"عمراً" مع الحفاظ على حكمهما ووظيفتهما الإعرابية الأولى خبر مقدّم، والثانية مفعول به مقدّم. ومنها قوله تعالى" إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ"

حيث قدنا المفعول به "لفظ الجلالة" مع بقائه في حكمه ووظيفته(المفعولية). وأخرنا الفاعل (العلماءُ) وبقي فاعلا.

2- تقديم لا على نية التأخير: و وهو "أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم ، و تجعل له بابا غير بابه و إعرابا غير إعرابه ، و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ و يكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك وأخرى ذاك على هذا."

ومثاله ما تصنعه بـ "**زيدٌ و المنطلقُ**" ، حيث تقول مرة (زيدٌ المنطلقُ)، وأخرى: (المنطلقُ زيدٌ). فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير ، فيكون خبر المبتدأ كما كان ، بل على أن تنقله من كونه خبرا إلى كونه مبتدأ ، و كذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا".

مثال آخر: خلق الله السماوات والأرضَ.....جملة فعلية

فعل + فاعل مرفوع + مفعول به + حرف عطف واسم معطوف

إذا قمنا بتقديم الفاعل عن الفعل ، لم يبق في حكمه الذي كان حسب نظام النحو العربي البصري، ونوع الجلمة تغيّر معه من الفعلية إلى الاسمية ويكون كالآتي:

اللهُ خلقَ السماواتِ والأرضَ .....جملة اسمية

مبتدأ+ خبر جملة فعلية(خلق السماوات والأرض).

فعل + فاعل ضمير مستتر (هو) + مفعول به + حرف عطف واسم معطوف)

و يضرب الجرجاني أمثلة أشد وضوحا على نماذج للتقديم بقوله :" و أظهر من هذا قولنا ضربتُ زيدا و زيدٌ ضربتُه ، لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا به منصوبا بالفعل كما كان ، و لكن على أن ترفعه بالابتداء ، و تشغل الفعل بضميره ، وتجعله في موضع الخبر له"

والتقديم والتأخير أحد أهم أبواب علم المعاني المرتبطة بالمعنى ، والتي تسهم في تمكين المتكلم من التصرف في التراكيب بما يناسب مقاصده وأغراضه البلاغية بيان ذلك الجملتان الآتيتان:

قام زيد :، وزيد قائم؛ لكل جملة مقام بناسبها ومعنى مخصوص تحمله، فقولنا "**قام زيد**"، تفيد مجرّد الإخبار عن القيام. في حين تفيد الثانية "**زيدٌ قائمٌ**" مقام الإخبار عن قيام زيد مع تأكيد لهذا القيام وتخصيص زيد به دون غيره. عكس الأولى إذ تحتمل أن يكون قد قام مع زيد غيره.

ملاحظة: الجملة الاسمية تفيد ثبات المعنى، وثباته نوع من التوكيد له مقارنة بالفعلية التي تدل على الحركية . ولهذا عدّ البلاغيّون الجملة الاسمية من مؤكدات الخبر .

مثال آخر: قوله تعالى: " **الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ**" الفاتحة:2 ، "تقديم المبتدأ هنا يفيد مجرّد الإخبار [مع تأكيد الخبر]، في حين نجد في قوله تعالى " **فلله الحمد ربِّ السماواتِ وربِّ الأرض رب العالمين**" فتقديم الخبر هنا (لِلّهِ) أفاد قصر وتخصيص الحمد لله وحده دون غيره، والآية قد وردت في سياق الرد على أباطيل وشبهات الكفار التي ردّو وأنكروا فيهغا آيات الله ونعمه الظاهرة والباطنة. فكان التركيب حاملا توكيدا باسمية الجملة وآخر بالتقديم والتأخير الذي أفاد قصر وتخصيص الله وحده بالحمد .

أولا:- الأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه:

يقول السكاكي :"و أما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي : متى كان ذكره أهم ، يقع باعتبارات مختلفة : إما لأن أصله التقديم و لا مقتضى للعدول عنه ، ...، و إما لأنه متضمن للاستفهام ، .. و إما لتضمنه ضمير الشأن و القصة .. و إما لأن في تقديمه تشويقا للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه إذا أورده. "... (مفتاح العلوم للسكاكي)

1- التشويق إلى الكلام المتأخر:

نحو قول الشاعر : **والذي** حارَت البرِيّةُ فيه **حيوانٌ** مستحدثٌ من جَمَادِ

نلحظ في بداية البيت تشويقا للسامع كي يعرف من هذا الذي حارت البرية فيه؟ وممَّ صُنع؟وهل هو من عالم الإنسان أو الحيوان ، أو الجماد؟ وتتراكض الأسئلة وتتَتابَعُ بحثا عن الجواب .

ليأتي الجواب " حيوانٌ مستحدثٌ من جمادٍ"، إنه الإنسان الذي خُلق من فخار، وجُبِل من تراب. ففائدة التقديم هنا التشويق.

ينظر: بكري شيخ أمين:البلاغة في ثوبها الجديد علم المعاني،ج1،ص137.

2- تعجيل المسرة:

نحو قوله تعالى "**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**"،الرعد:23، وفاطر : 33، والنحل : 31.

جنات : مبتدأ مرفوع بالضمة وهو مضاف، وعدنٍ : مضاف إليه مجرور،

يدخلون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لانه من الأفعال الخمسة ، وواو الجماعة: في محل رفع فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية "يدخلونها" في محل رفعٍ خبر المبتدأ "جناتُ".

ونحو قولك لمن ينتظر نتيجة امتحان مصيري أجراه : **الناجحُ أنتَ**

وقولك: **العفوُ عنك ، صدربه الأمر**. العفو مبيتدأ مرفوع، والخبر شبه الجملة "عنك)

3-تعجيل المساءة: إذا كان في ذكر المسند إليه ما يُتشاءم منه .

نحو : السارقُ في منزلك. ونحو: السجنُ عشرون عاما لقاتلِ الطفلةِ.

-4للتبرك به:

نحو :**اللهُ اهتديت به**. المبتدأ : لفظ الجلالة الله، والخبر: الجملة الفعلية اهتديتُ به.

ونحو: **الله غايتنا، و الرسول قدوتنا ،والقرآن دستورنا** و الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

م +خ . م + خ. م+ خ م + خ

5- **التلذذ**: نحو قول الشاعر: بالله يا ضَبيَاتَ القَاعِ قُلنَ لَنَا** **لَيلَايَ** مِنكُنَّ أَم لَيلَى مِنَ البَشرِ.

فالشاعر قدّم اسم محبوبته هنا "**لَيْلايَ**" تلذذا به، إذ من عادة المُحبّ تقديم ذكر اسم محبوبته، يفتتح بها كلامه، ويختتمه بها.

الإعراب للتوضيح:

ليلايَ: مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وليلا مضاف.

ياء المتكلم في محل جر مضاف إليه . منكن : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر.

ونحو: التلذذ بذكر اسم الخالق، قال تعالى " اللهُ نور السماواتِ والأرض" النور: 35.

وهناك أغراض عديدة أخرى نحو :

6- التخصيص ويكون في حال الإثباتِ نحو قولك:

(أنا) (كتبتُ هذه الصفحة). فالجملة تفيد تخصيصك بالكتابة.

7- تقوية الحكم وتقريره : ويكون في الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية، حيث تحمل علاقتي إسناد تقويان المعنى الأولى بين المبتدأ والخبر، والثانية بين الفعل والفاعل. في حين لا تحمل الجملة الفعلية إلا إسنادا واحد .

مثال: **محمد يُكرمُ الضيفَ** تتكون الجملة من مبتدأ (محمد) وخبر جملة فعلية(يُكرمُ الضيفَ) وهي بدورها تحمل علاقة إسنادية ثانية بين الفعل وفاعله المستتر(يكرمُ هو) ولذلك فهذه الجملة تُعادل قولك : يكرم محمد الضيف، يكرم محمد الضيف(مرتين).

ومنها قوله تعالى:" لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليلُ سابقُ النهار، وكلٌ في فلك يسبحون" يس:40.

نجد تقدّم المسند إليه : الشمسُ ، والليل بغرض تقوية الحكم في الجملتين.

إعرابها للتيسير: لا) نافية مُهملة، (الشمس) مبتدأ مرفوع خبره جملة ينبغي (لها) متعلّق ب (ينبغي)، (أن) حرف مصدريّ ونصب، وتدركَ فعل مضارع منصوب بلن، والمصدر المؤوّل (أن تدرك...) في محلّ رفع فاعل ينبغي. و(الليل) مبتدأ و(سابق) خبر و(النهار)مضاف إليه.

ثانيا: الأغراض البلاغية لتقديم المسند:

1- التشويق إلى متأخر :

نحو قول الشاعر: ثلاثةٌ ليسَ لها إيابُ الوقتُ و الجمالُ و الشّبابُ

خبر مقدّم. مبتدأ مؤخّر

*ومنها قول محمد بن وهيب الحميري في مدح المعتصم:

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها **شمس** الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

1- التخصيص و القصر :نحو قولﷺ تعالى : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ)الروم : 04

فتقديم " الخبر (لله) أفاد التخصيص وقصر الأمر على الله وحده لا لأحد غيره.

ومنها قول الشاعر : **عذبةٌ أنتِ كالطفولة** فعذبة خبر مقدّم، والضمير "أنت" في محل رفع مبتدأ .

ومنها قولﷺ تعالى في وصف خمور الجنة**" لَا فِيهَا غَولٌ**"الصافات:47.

ورد في تفسير الآية: "لا فيها غول" أي لا تغتال عقولهم، ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع . فالتركيب يفيد قصر عدم وجود الغَولِ في خمور الجنة وحدها.

وفرق كبير بين قولنا : "لا غولَ فيها" ، وقولﷺ تعالى" لا فيها غَولٌ"

فالعبارة الأول: تنفي وجود الغول في هذه الخمرة لكنها لا تنفي وجوده في خمر أخرى، فقد توجد خمر أخرى لا تُذهب العقل، فالنفي غير مقتصر على خمر الجنة، وباقي الخمور قد يكون فيها الغَولُ –الذي يغتال العقول- وقد لا يكونُ. وليس هو المعنى المُراد.

العبارة الثانية: تقصر النفي وتخصصﷺ لخمر الجنة فقط فهي وحدها التي تختص بعدم وجود الغول فيها.

ونحو قولﷺ تعالى:"للهِ ملكُ السماواتِ والأرضِ" المائدة 120 قصرنا الملكية على الله .

ولو قلنا **ملكُ السماوات والأرض لله**. لكان المعنى؛ أنّ الملك لله ولا يمنع مانع من وجود مالك للكون غيره.

2- **التفاؤل بما يسر المخاطب:**

نحو : ناجح أنت – نجحت العملية الفدائية / الجراحية

ونحو قول الشاعر : سعِدَت بغَرّة وجهك الأيامُ *** وتزيّنت بلقائك الأعوامُ

تم تقديم المسند "سعدَت" على المسند إليه "الأيّامُ" للتفاؤل .

ونحن نحب من يقول لنا: **عِدَ صباحُك، وطاب يومُك**، أكثر من قوله: **صباحُكَ عيدٌ**.

لأنه بدأ بالكلمة ذات الوقع الحسن على آذاننا وقلوبنا.

-متفوقون أنتم على الآخرين. في عافية أنت.

3- التشاؤم: **خسرت تجارتك** . فنحن نكره من يقولها لصاحبه لأنه بدأ متشائما ، وكان يستطيع تأخير نبأ السوء قليلا فيقول: نحو : تجارتك خسرت .

مثل قوله تعالى إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب) (آل عمران/190

4- التعجب: مثل : لله درك!

5- المدح،، كقولك: نعم البديل من الزلة الإعتذار.

6- الذم: في قولك، بئس الطعامُ الوليمة، فإنه يُدعى لها من لا يستحقها. فالجملة الفعلية بئس الطعام خبر مقدم للمبتدأ (الوليمةُ)،

7- التعظيم،، كقولك: عظيم أنت يا وطني.

خبر مقدم . مبتدأ مؤخر

ثالثا:الأغراض البلاغية لتقديم متعلقات الفعل:

. ويراد بها تقديم المفعول به والظرف، والجار والمجرور، والحال، والمفعول المطلق، والمفعول معه والمفعلول لاجله ، والتمييز .

1- **التخصيص** : نحول قوله تعالى " **إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ**" الفاتحة:5.

قُدّم المفعول به "إيَّاكَ" على الفعل والفاعل لأفادة التخصيص، والمعنى نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد سواك ولا نستعين بغيرك.

ونحو قوله تعالى" ونوحا هدينا من قبلُ" الأنعام 84.، " أما اليتيمَ فلا تقهر" الضحى:9.

-يقدّم الجار والمجرور لإفادة التخصيص أيضا في بعض السياقات نحو قوله تعالى"**بسم الله الرحمان الرحيم**" الفاتحة:1. فـ: باسم الله، جار ومجرور لفعل محذوف تقديره: **أدعو** " ، أو: "**أبدأُ**" وقدّم لإفادته التخصيص أي باسم الله أبدأ لا باسم أحد غيره. اما ما ورد في قوله تعالى :"اقرأ باسم ربك الذي خلقَ" العلق:1، فهنا قدّم الفعل اقرأ للدلالة على القراءة لأنها مقصودة أولا.

2- **الاهتمام بشأن المقدّم:**

قال تعالى:"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ " السجدة:24.

تم تقديم الجار والجرور،"بآياتنا" للإشعاربأهمية آيات الله في حياة البشر

3- مراعاة الفاصلة : "خذوهُ فغلوه،ثم الجحيمَ فصَلّوهُ"، قُدّم المفعول به على الفعل مراعاة لفواصل الآياتِ.

---

(1) (ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز)

(2)(ينظر البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص110، نقلا عن : نجم الدين الطوفي، الإكسير في علم التفسير، ص154.)

(3) (ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز)ص 127.